رِسَالَةُ الدَّارِ عَن مُحَاوَرَاتِ الفَارِ
لصفيِّ الدِّين الحلي (ت ٧٥٠هـ)

تحقيق: أ. د. عباس هاني الجرَّاخ(*)

وُلِدَ صفيُّ الدِّين الحليُّ في مدينة الحِلَّة بالعراق سنة ٦٧٧هـ، ورَحَلَ إلى الشَّام للتِّجَارَة، وانقطعَ مُدَّةً إلى الأَرَاتِقَةِ في «ماردين» ومدحَ ملوكها، ثمَّ سَافرَ إلى القاهرة، فمدح السلطانَ المَلكَ النَّاصرَ، وكانَتْ وَفَاتُهُ ببغدادَ نحو سنة ٧٥٠هـ.

وإذْ بَرَزَ شاعرًا كبيرًا، أجادَ في الموضوعات والفنون التي طَرَقَهَا، فقد كانتْ لهُ كتاباتٌ نثريَّةٌ، إلَّا أنَّها لمْ تشتهرْ كاشتهار شِعرهِ وسَيرُوتهِ، ومنها هذه الرِّسَالة المَوسومة بـ(رِسَالَة الدَّار عَن محاورات الفارِ)، التي نقومُ بتحقيقها.

موضوعها:

الرسالة هي شكوى كتبها صفيُّ الدين الحليُّ، يطلبُ فيها حَقَّهُ باستيفاء دَينِهِ مِن نائبِ السُّلطان، الذي مَاطَلَهُ نحو ثلاثة أشهر، وجعل الرسالةَ على لسان الدار التي كانَ يسكُنُهَا في مدينة «ماردين» من إقليم الجزيرة الفراتية، وأقامَ بِدايتها على غرارِ الرسائل الديوانية التي دبَّجها الكتَّابُ المُشتغلون

(*) رئيس تحرير مجلة (المحقق) المحكمة/ العراق.

ورد إلى المجمع بتاريخ ١٠/ ٩/ ٢٠٢٣م.

بديوان الإنشاء في عصره، وهي التي تتعلَّقُ بالمظالم التي «ترفع إلى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلّق بتلك الحاجة»[(١)]، وبدأها -بعد البسملةَ- بعبارات مثل: «تُقبِّلُ الأرضَ»، و«تُنهي»، وغير ذلك، وختمها بخاتمة هي خلاصة ما دبَّجهُ وارتآهُ.

ثمَّ أرسلَ هذه الرسالة إِلى المَلكِ الصَّالحِ صالح شمس الدين بن غازي الأرتقي (ت ٧٦٥هـ)، الذي مدحَهُ بعددٍ من القصائد.

الدراسة:

كتبَ الصَّفيُّ رسالتَهُ هذهِ بأسلوب الفكاهة والسُّخرية، حتى وُصِفَتْ بأَنَّها «فكهة جميلة الأسلوب رقيقة العبارة»[(٢)]. وعمدَ فيها إِلى أنسنةِ الجَماد والحيوان عن طريق الحوار: «قال- قالت»، فأضفى الطابعَ الإنسانيَّ عليها، فالدارُ أخذت تخاطبُ القلعةَ الشهباءَ مقرَّ الملك الصَّالح، وشَكَتْ ممَّا أصابها، بعد العزِّ والنعيم، وما كابدَتْ بَعدَهُ مِن هَمٍّ وبُؤْسٍ، ثُمَّ جاءَ دورُ الفَأْرِ الذي أَوصَى إِخوَانَهُ بِحُسْنِ لقاءِ السَّاكِنِ الجديدِ، وَهو صفيُّ الدِّينِ، وهذا الفأر من العناصر السردية الرئيسة في الرسالة، ومحور مُهمّ في أحداثها!

وقد اطلع الملك الصالح على الرسالة، وأعجبَ بها، وفَهِمَ مرادَ الكاتِبِ ومَطلبه، وكانَ مِن نَتيجَةِ ذلك أنْ أَمَرَ بِسدَادِ مبلغِ ذَلِكَ الدَّينِ الذي أثقل الحليَّ؛ ليسكن البيتَ – بعد ذلكَ- بارتياح![(٣)].

---

(١) صبح الأعشى ٦/ ١٩٣.

(٢) من كلام المرحوم محمود رزق سليم في كتابه: صفي الدين الحلي ٣٧، وكان قد ذكرهُ بشيءٍ من الإطالة في: مجلة (الرسالة) القاهرية، ع ٨٠٣، الصادرة في ٢٢/ ١١/ ١٩٨٤م.

(٣) لهُ قطعةٌ همزيةٌ يصفُ فيها بيتًا آخر له. يُنظر: ديوانه ٢/ ٩٧٥.

وعند دراستنا للرسالة[٤] نَرَى اهتمام الصَّفيِّ بالنصوص الشعرية والنثرية التي استقاها من قراءاتِهِ المتتالية وثقافته الواسعة، في تناصٍ بارزٍ، وهو «علاقة بين نصَّين أو أكثر، ووجود آثار نصوص أُخرَى على النَّصِّ المتناص»[٥].

ويُمكنُ تَلَمُّسُ الصنعةَ بوضوحٍ، سواء بالمُحَسِّنَاتِ البديعية، أم اللَّفظية والمعنوية، ومنها:

١- السجع، وهو الغالب على الرسالة، بل هو عمادها، ويكون في «تماثل الحروف في مقاطع الفصول »[٦]، وتأتي أهميته من كونه بمنزلةِ القافية للشعر، فيُعطي الرسالةَ جرسًا موسيقيًّا جميلًا عن طريق التوافق بين الكلمات المسجوعة.

٢- حل المنظوم، أي جعل الأبيات الشعرية الذائعة إلى هيئة نثر، كقوله: «وأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِسْمَكُم تُرَابُهَا»، فهذه العبارة هي من قول الشَّاعرِ القَديمِ:

بِلَاد بهَا نِيطَتْ عليَّ تَمَائِمي وَأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِلدي تُرَابُهَا

٣- الجناس، وقد احتفل به كثيرًا، ومنهُ الجِناسُ التَّام، وهو «ما اتَّفَقَ رُكنَاهُ لَفظًا واختلفَا مَعنًى، بلا تفاوتٍ في تركيبهما»[٧]، كقوله: «حتَّى جلسَ في الشُّبَّاكِ الحَدِيدِ، المُشرِفِ على بَابِ الحَدِيدِ»، فالجناسُ بين كلمة (الحديد) الأولى بمعنى المُحادِد أو المجاور، و(الحديد) الأخرى، وهو المَعدِنُ المعروفُ.

---

(٤) حاولَ سلامة هليل الغريب دراسةَ هذهِ الرسالة دراسةً موضوعيةً وفنيَّةً في بحثٍ لهُ منشورٍ في: المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها. مج ١٢، ع ٣، ٢٠١٦م، ص ٧٧-١٠٠، ومذكور على الشابكة، ولم نستطع الاطلاع عليه على الرغم من جهودنا في ذلكَ، فاكتفينا بهذه الإشارة.

(٥) نظرية علم النص ١٩٤.

(٦) سر الفصاحة ١٧١.

(٧) فن الجناس ٦٢.

ومنه الجناس الناقص، كقوله: «وشَرَفُكِ بِإِترَابِكِ لا بِتُرَابِكِ»، وقوله: «ومَتَى رَآكُمْ بِهَا سَارِبِينَ، وفي قَرَارَتِهَا رَاسِبِينَ»، فبين «ساربين» و«رَاسِبين» جناسٌ ناقصٌ، وقوله: «رَبُّ المَقَامِ والمَقَالِ، وفَارِسُ الجِلَادِ والجِدَالِ».

٤- الطباق، كقوله: «يُسْكتُهَا الحَيَاءُ والأَدبُ، ويُنطِقُهَا الإِعيَاءُ والنَّصَبُ»، فالطباق واضح بين «يسكتها» و«ينطقها».

٥- الاقتباس من القرآن الكريم، وهو نوعان[٨]: الاقتباس النَّصيُّ، الذي يلتزمُ به باللفظ والتركيب في شواهده، ومنه قوله: «وفَرغَ من الشَّراب، و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾»، فالأخير هو من سورة الرعد: ٣٨.

والاقتباس الإشاريّ، وهو مَا يشير إليه، من غير أنْ يلتزمَ بالنَّصِّ، ومنه قوله: «ونَبَذه بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقيم»، فهوَ مِن قوله تعالَى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

وبخصوص الألفاظ، فهي تَكتَسِبُ أَهميَّتها ودلالتها من السِّياق الذي تَرِدُ فيه، فهو المسؤول عن توظيفِ اللُّغَةِ نَفسيًّا وموضوعيًّا وفنيًّا، والذي يَعنينا هنا هو محاولته إبراز مقدرته اللغوية، مع الإطناب في الأسلوب.

وتُؤَلِّفُ المادةُ التاريخيةُ - الأَدبيةُ الجانبَ الآخرَ، فالمادة التاريخية تتجلَّى في أسمَاءِ الأعلام العربية والأجنبية كالأَنبياء: آدم، ومحمد ﷺ، والشعراء: ابن المعتز، وأبي فراس، وأبي نواس، والخنساء، وصخر، فضلًا عن أعلام آخرين: عزازيل، وهاروت، والزباء، وقصير، وإشارات تاريخية: فؤاد أم موسى، وصاع العزيز.

ومن العُلُومِ التي أَودَعَهَا رسالته، وكشَفَ فيها عن ثقافته اللغويَّةِ: **علم**

(٨) معجم آيات الاقتباس ١٥، ١٩.

الأنواء والفلك، وفيه ذِكْرٌ للكواكب والنجوم، مثل: الإكليل والنَّثرة، والفرقدان، والسماكان، والثريا، والحمل، والجوزاء، والعواء، والمجرة، والعيُّوق.

وهناك أَلفاظٌ مِنَ المُعَرَّبِ والدخيل، مثل: الجنك، والعيدان، والنكريش.

ولم يَنسَ أَنْ يُزَيِّنَ الرسالةَ النثريةَ هذهِ بِقِطَعٍ مِن شِعرِهِ، وشِعرِ غَيرِهِ.

اهتمام الباحثين بها:

مِنَ المناسبِ الإشارة إلى أنَّ المرحوم محمود رزق سليم نَشَرَ مقتطفاتٍ منها سنة ١٩٧١م، ووَصَفها بـ«القصَّة»، وحَذفَ منها كثيرًا من النُّصُوصِ النثريةِ والشعرية؛ لأجلِ الاختصارِ والاختيار، وفي عمله أخطاءٌ في القراءة والضَّبط، ولم يذكرْ مَظَنَّةَ وجودها(٩).

وقامَ د. عمر موسى باشا بإثباتِ الرسالةِ كاملةً سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مِن دُونِ ضَبطٍ أو تعليقٍ، اعتمادًا على طبعة بيروت الأولى من الديوان، وإنْ لَمْ يُشِرْ إلى ذلكَ صَرَاحَةً، وجاءتْ في عَمِلهِ أخطاءٌ واضحةٌ(١٠).

وأوردَ د. عمر فرُّوخ فِقرَةً منها، ووَصَفَها بـ«القصَّة» كذلكَ، ولم يُصرِّح بمصدَرِهِ أيضًا، وإنْ كان الكتابُ الأوَّلُ مِن مَرَاجِعهِ(١١).

وتناولتْ هذهِ الرسالة د. رغداء مارديني، ورأَتْ أنَّ الكاتبَ قَدَّمَها «ضمن صيغة فن تمثيلي يمكن تخيل طرافة القَصّ فيه، وما يتطلَّبه من خيال وحوار»(١٢).

وذكر هذه الرسالةَ الشيخُ آقا بزرگ الطهرانيُّ (ت ١٣٨٩هـ)(١٣).

---

(٩) صفي الدين الحليّ ٨١-٨٦.

(١٠) تاريخ الأدب العربي/ العصر المملوكي ٢٨٥-٢٩٣.

(١١) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧٧٦-٧٧٧.

(١٢) المناظرات الخيالية ٢٦٧.

(١٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٨/ ١٩.

ولكن لم يُشر إليها المرحومُ شاكر هادي شُكُر[١٤] في كتابه (الحيوان في الأدب العربي)، على الرغم من ذكره مادة (الفأر)، وما قيل فيه في الأمثال والقصص والشعر[١٥]، وكذلك لم يذكرها د. نسيب نشاوي عند إيراده آثارَ الصفيّ في «النثر»[١٦].

تحقيق الرِّسالةِ

رجعنا في تحقيق الرِّسالةِ إلى خَمْسِ نُسَخٍ، هي ثلاث مخطوطات، ومطبوعتان.

أمَّا المخطوطات فقد وَقَفنَا عليها إثرَ بَحثٍ وتَتَبُّعِ طويلَينِ، وهذا بيانٌ بها:

١/ نسخة معهد المخطوطات العربية

ضمن مجموع برقم ٥٥٤٢، في ١٤ ورقة، منسوخ سنة ٧٥٥هـ، يضمُّ أيضًا: الرسالة التوأمية، والرسالة المهملة، وحلّ المنظوم والمنثور.

وخطُّها واضحُ، وفيها نظامُ التَّعقيبَةِ. وفي كُلِّ صفحة نحو ١٥ سطرًا.

ورمزنا لها بـ(م).

٢/ نسخة الظاهرية ٦٩٨٢

ناسخُها: حُسين بن عليّ البغداديّ، سنة ١١٠٠هـ، وتقع بعد ختام (ديوان صفي الدين الحلي)، في الصَّفحات ٢٢٠-٢٢٥، وفي كُلِّ صفحة ١٦ سطرًا.

وتبدأُ بعبارَةِ: «ومِن مُصَنَّفَاتِهِ تَغَمَّدَهُ اللهُ بالرحمة والرضوان الرسالةُ الموسومةُ برسالة الفار والدار»، ثُمَّ الديباجة.

---

(١٤) وُلِد في بغداد سنة ١٩٠٧م، له تحقيقات كثيرة، منها: ديوان الشيخ كاظم الأزريّ. تُوُفِّيَ سنة ١٩٩٢م.

(١٥) الحيوان في الأدب العربي ٣/ ٧٣-٨٣.

(١٦) شرح الكافية البديعية (مقدمة التحقيق) ٣٠.

ورَمزنا لها بالرمز: ظ ١.

٣/ نسخة الظاهرية ٤٦٨٨

تَقَعُ في خَمْسِ أَورَاقٍ، في كُلِّ صفحة ١٦ سطرًا، وهي حديثةُ النَّسخ، وليس فيها اسمُ النَّاسِخِ.

وعُنوانها: «رسالة صفي الدين الحليّ رحمهُ الله أنشأها عن لسانِ دارٍ كانَ يَسكنها بماردينَ، مُخَاطبًا بها القلعة الشَّهبَاء، وأَرسَلهَا إلى الملك الصالح أبي المكارم شمس الدين»، وتبدأ بالبسملة ثُمَّ الدِّيباجة.

وقد رَمَزنَا لها بالرَّمز: ظ ٢.

وثمَّة نسخة رابعة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد[١٧]، ولكنْ لم نَظفر بها؛ لِضَيَاعِهَا مَعَ مَا ضَاعَ مِن تُراثِ هذهِ المَكتبَةِ العَامِرَةِ[١٨].

ولكن ما بقي مِن وَصفِها، وخاصة أوَّل مقدمتها، يَتَّضحُ أَنَّها تشبه نسخةَ: ظ ٢.

وعلمنا بوجود نسخة خامسة في مركز البحوث والدراسات التابع لديوان الوقف السُّنِّيّ ببغدادَ[١٩]، الرقم ٢/ ٨ -٢١٠ ذ ٩٢٤.

وبعد الانتظار تَبيَّنَ أَنَّها أيضًا في عداد المفقود.

٤- ديوان صفيّ الدِّين الحلِّيّ، مطبعة الآداب، ولاية بيروت، ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٢م. ٥٢٨ ص.

وشغلت الرسالة الصفحات ٤٨٤-٤٩١.

رمزنا لها بـ: د ١.

---

(١٧) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ٣/ ٢٦.

(١٨) أَعلَمَتني السيدةُ المسؤولةُ عن مخطوطات مكتبة الأوقاف يوم ١٤/ ٥/ ٢٠٢٣م أنَّ المخطوطةَ من ضمن المفقودات.

(١٩) معجم المخطوطات العراقية ٨/ ٢١٧.

٥- ديوان صفي الدِّين الحليّ، مطبعة أفندي حبيب خالد، دمشق، ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، و١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م - وقد وَقَعَ في ٥٧٢ ص. وشغلت الرسالةُ الصَّفحات ٣٥٥-٤٦٣.

رمزنا لها بـ: د ٢.

وفي هاتين النَّشرَتَين أَخطاءٌ في الطِّبَاعَةِ، وإيراد إِحدَى الجُمَلِ المسجوعة على هيئة بيت شعر!، وعدم ضبط أيّ كلمة في الرسالة.

منهج التحقيق:

حقَّقنا الرسالة على النُّسَخِ الثلاث، مَعَ ملاحظة أَنَّ نسخة (ظ ٢) برغم تأخُّرها فإنَّها قليلة الأسقاط، وإنْ لمْ تَسلم النسخُ جميعًا من تحريفات وتصحيفات الناسخين، في الكلمات أو الضَّبط، وقد قابلناها على النشرتين المطبوعتين.

وقُمنا بِضَبطِ النَّصِّ، وإيراد اختلاف الرواية بين النُّسَخِ، وتخريج الآيات القرآنية، وتفسير المفردات، والتعريف بالأَعلام، وتَخريجِ الأَشعَارِ، ومنها أَشعَارُ كاتبها، واكتفينا بالرّجوع إلى الطبعة العلمية من ديوانه[٢٠] بتحقيق د. محمد حوَّر، وما إلى ذلكَ مِن لَوَازمِ التَّحقيقِ وأُصُولهِ، مع إثباتِ صُوَرٍ من النُّسَخِ المخطوطة.

(٢٠) من المناسب أنْ أُشيرَ هنا إلى أنَّ لي مُستدركًا على ديوانهِ، بجميع نشراتهِ وتحقيقاته.

مخطوطة معهد المخطوطات العربية (م)

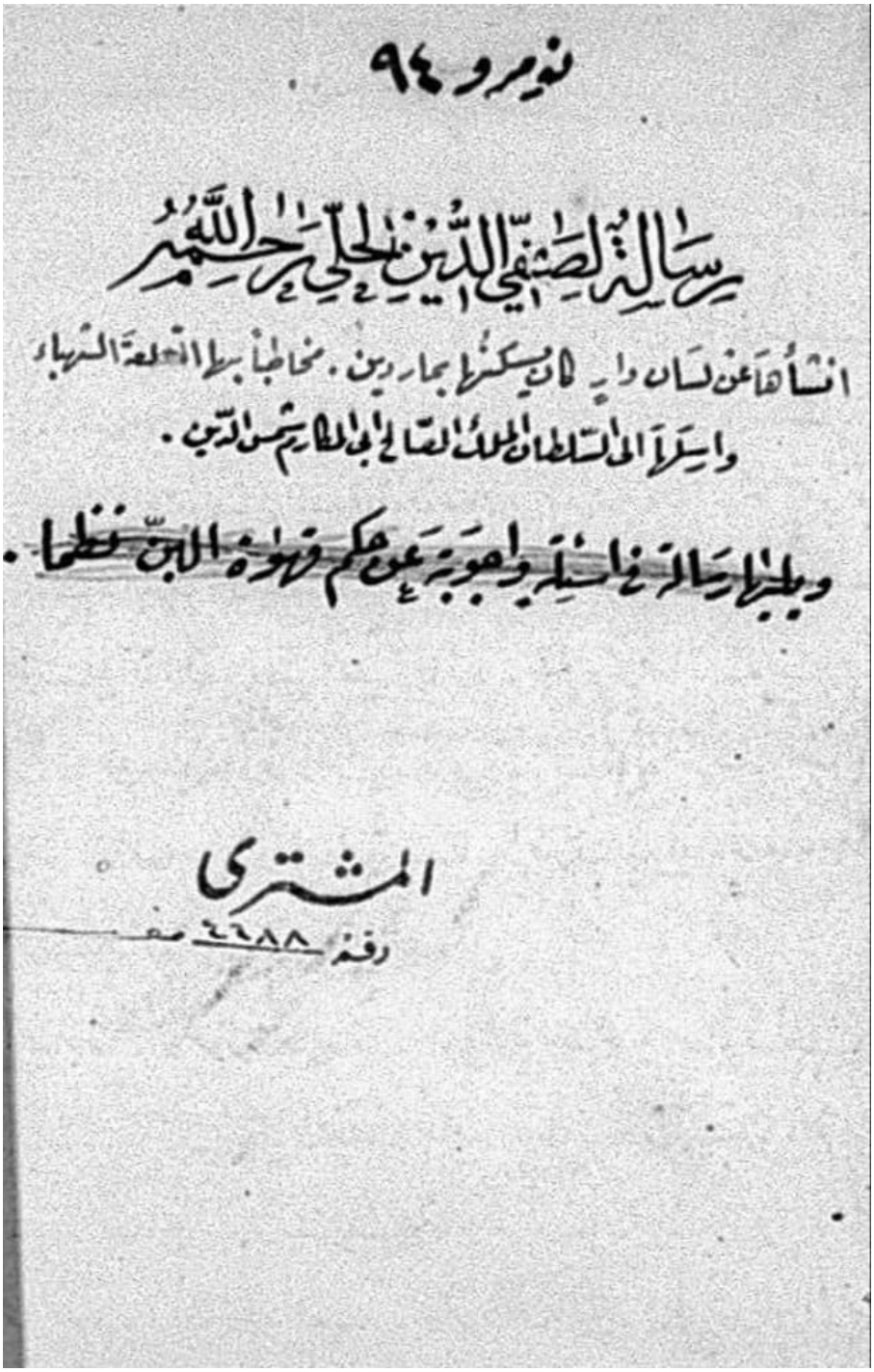
نومرو ٩٤

رسالة الصفي الدين الحلي رحمه الله

انشأها عن لسان والي ماردين مخاطبا بها القلعة الشهباء

واسرا الى السلطان الملك الصالح ابي الطاهر شمس الدين

وطلب الرسالة في المسئلة والجوبة عن حكم فتوى ابن نظما

المشترى

رقم ٤٦٨٨ ص

صفحة العنوان. نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ١)

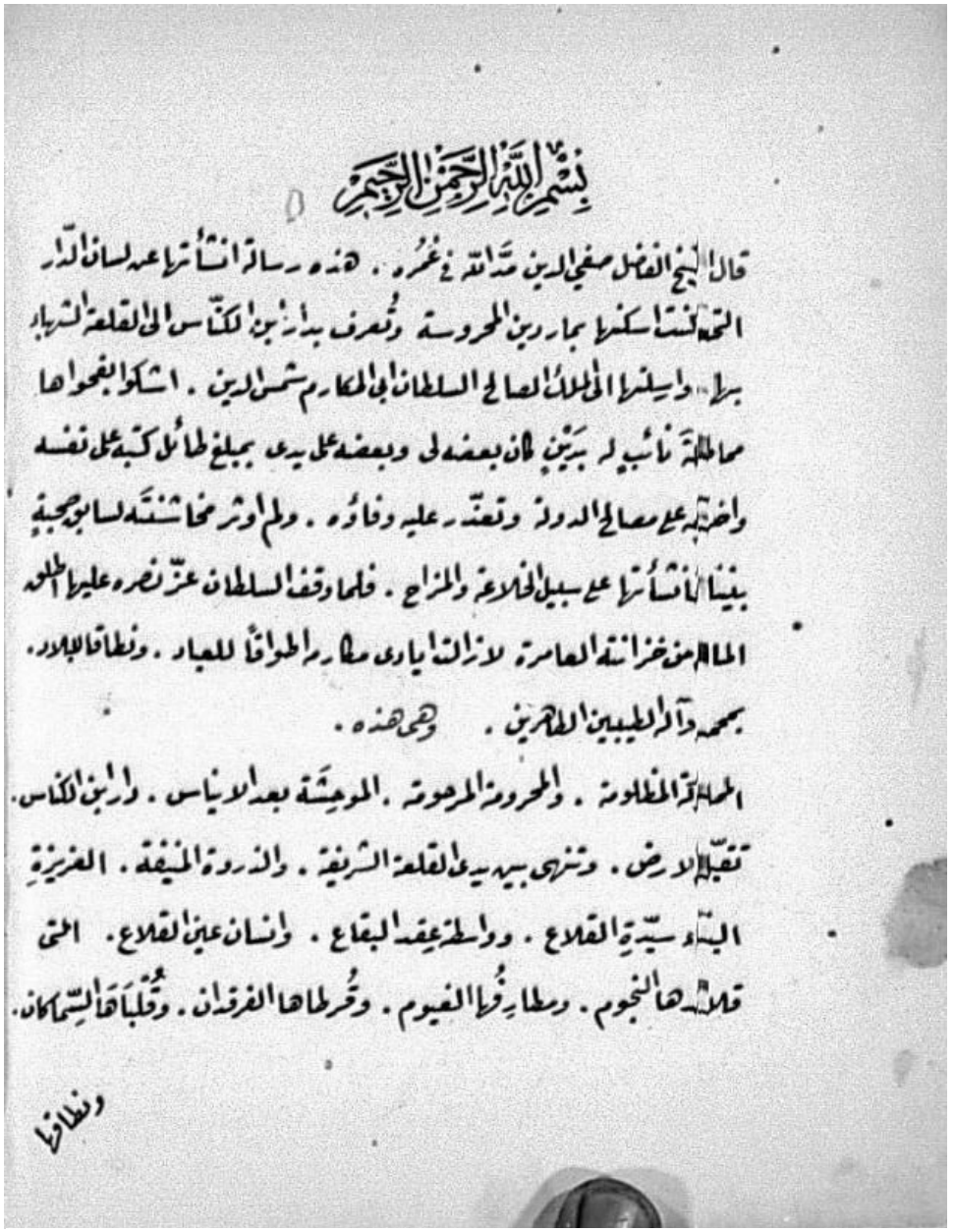

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفاضل صفي الدين حماد الله في عمره. هذه رسالة أنشأتها عن لسان الدار التي كنت أسكنها بحماة بين المحروسة وتصرف بدار ابن الكناس إلى القلعة الشريفة برا. وأرسلتها إلى الملك الصالح السلطان أبي المكارم شمس الدين. أشكو إليه جواها معاملة نائب له بيّن فإن بعضه لي وبعضه على يديّ يبلغ طائل كبة على نفسه وأخيه على مصالح الدولة وتفنن عليه وفاؤه. ولم أوثر مخاشنته لسابق محبته بيننا فأنشأتها على سبيل المزاح. فلما وقف السلطان عز نصره عليها أطلقه المال من خزانته العامرة لا زال أياديه مطارة الطوافا للعباد. وغطاقا للبلاد. بمحمد وآله الطيبين الطاهرين. وهي هذه.

الحمد لله المطلوبة. والمحمودة المرهوبة. الموجبة بعد الالتباس. دار ابن الكناس. تقبيل الأرض. وتنهي بين يديك القلعة الشريفة. والذروة المنيفة. العزيزة البناء سيدة القلاع. وواسطة عقد البقاع. وإنسان عين القلاع. التي قلائدها النجوم. ومطارف قرها الغيوم. وحرطاها الفرقدان. وقلباها السماكان.

وغطاقا

الصفحة الأولَى. نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ١)

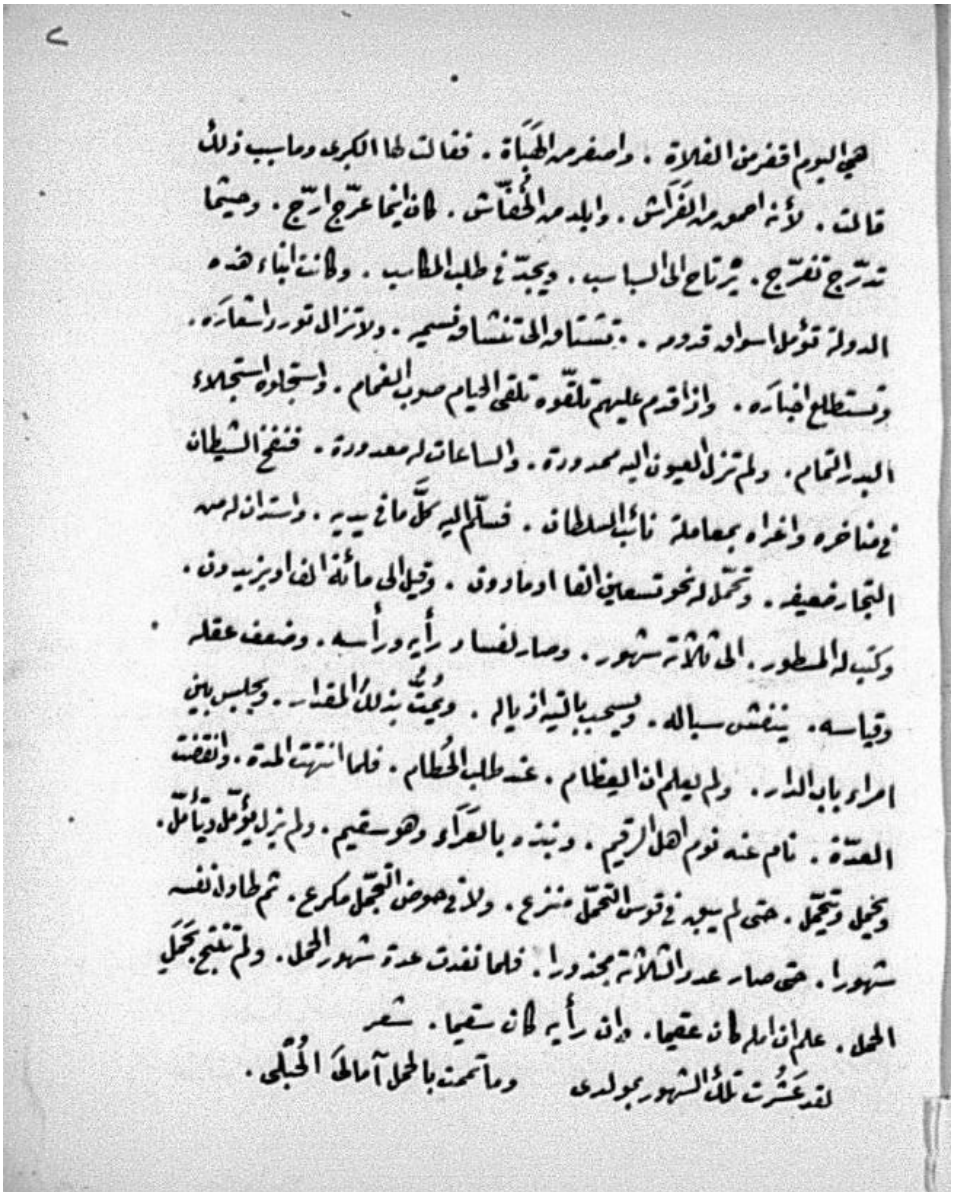

الصفحة الأخيرة. نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ١)

بداية نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ٢)

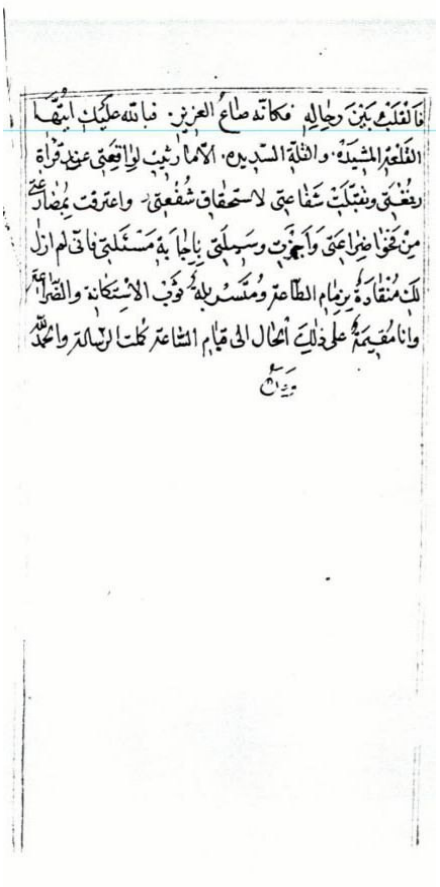

نهايةُ نسخة الظاهرية ٤٦٨٨ (ظ ٢)

[الرسالةُ]

قَالَ الشَّيخُ صَفيُّ الدِّينِ عَبدُ العَزيزِ الحِلِّيُّ مَدَّ اللهُ في عُمُرِهِ: هذِهِ[٢١] رِسَالةٌ أَنشَأْتُهَا عَن لِسَانِ الدَّارِ التي كُنتُ أَسكُنُهَا بـ«ماردىن»[٢٢] المَحرُوسَةِ، وتُعرَفُ بِدَارِ «ابن الكنَّاس»[٢٣] إِلى القَلعَةِ الشَّهبَاءِ بِهَا، وأَرسلتُها إِلى المَلكِ الصَّالحِ «أَبي المكارم شمْس الدِّين»[٢٤]، أَشكُو بِفَحوَاهَا مُمَاطَلةَ نَائِبٍ لهُ بِدَينٍ كانَ بَعضُهُ لي، وبَعضُهُ على يَدي بِمَبلغِ طَائِلٍ كَتَبَهُ على نَفسِهِ، وأَخرَجَهُ على مَصالِحِ الدَّولةِ، وتَعَذَّرَ عليهِ وَفَاؤُهُ، ولمْ أُوثِرْ مُخَاشَنَتَهُ؛ لِسَابِقِ صُحبَةٍ بيننا، فَأَنشَأْتُها على سَبِيلِ الخَلاعةِ والمُزاح، فلمَّا وَقَفَ السُّلطانُ عزَّ نَصرُهُ عليها أَطلَقَ المَالَ مِن خِزَانَتِهِ العَامرة، لا زالتْ أَيادي مَكارِمِهِ أَطواقًا للعِبَادِ، ونِطاقًا للبِلادِ، بِمُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهِرينَ.

وهي هذهِ[٢٥]:

---

(٢١) م: «مدّ الله في عمره، هذه»، لم ترد.

(٢٢) قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدّامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط وخانقاهات. معجم البلدان ٥/ ٣٩، وتقع الآن جنوب شرق الأناضول بتركيا.

(٢٣) م: ابن الدكناس، لم ترد.

(٢٤) هو: صَالح بن المَنصُور نجم الدِّين غَازِي بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غَازِي بن أرتق بن أرسلان بن إيلغازي بن ألبي بن تمرداش بن إيلغازي بن أرتق. مَلَكَ ٥٤ سنة. تُوُفِّيَ سنة ٧٦٥هـ. يُنظر: السلوك لمعرفة دول الملوك ٤/ ٢٩٤.

(٢٥) جاءت الديباجة في ظ ١:

«وكان السببُ في ذلك أنَّ المَولَى صفيَّ الدِّينِ عفَى الله عنه حَصَلَ بَينَهُ وبَينَ أَربَابِ الدَّولةِ بِالخِزَانَةِ العَاليَةِ بِقَلعَةِ مَاردِينَ المَحرُوسَةِ معاملة مبلغ له صورة إلى مدة معينة، فلمَّا انقضَتْ تلكَ المُدَّة شَرعَ في تقاضي حَقّه، فمطلوهُ شهرًا[ا] بعد شهرٍ، حتَّى تجاوزوا في مطلهم الحَدَّ، وكان يومئذ ساكنًا بِدَار شَخصٍ يُسَمَّى البدر بن الكنَّاس، ولهُ =

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ][٢٦]

المَملُوكـةُ المَظلُومَـةُ، والمَرحُومَـةُ المَحرُومَـةُ[٢٧]، المُوحَشَـةُ[٢٨] بَعـدَ الإِينَاس، دَارُ ابنِ كنَّاس[٢٩]، تُقَبِّلُ الأَرضَ، وتُنهي بَينَ يَدَي القَلعَـةِ الشَّـريفَةِ، والذِّروَةِ المُنِيفَةِ. العَزِيزَةِ البِنَاءِ، الغَزِيـرَةِ السَّـنَاءِ[٣٠]، سَـيِّدَةِ القِـلاعِ، ووَاسِـطَةِ عِقْدِ البِقَاعِ، وإِنسَانِ عَينِ اليفاعِ[٣١]، المَخصُوصَةِ بِنَيـلِ العُلُـوِّ والارتِفَـاعِ[٣٢]، التي قَلائِـدُهَا النُّجُـومُ، ومَطَارِفُهَـا الغُيُـومُ، وقِرطَاهَـا الفَرقَـدَانِ، وقُلبَاهَـا[٣٣] السِّمَاكانِ[٣٤]. ونِطَاقُهَـا الجَـوزَاء[٣٥]، .....

= مُدَّة سنين قَد انزَاحَ عن ماردين وسَكنَ الشَّامَ المحروسَ، فلمَّا عَجزَ عن خـلاصِ المبلـغ صَنَّفَ هذهِ الرسالةَ على لسانِ الدَّارِ المذكورةِ، وهي تشرحُ حالَها بينَ يَدَي قلعةِ مَاردينَ، حمَاهَا اللهُ تَعالَى، فلمَّا وَقَفَ المَلكُ السلطانُ الصالحُ خَلَّد اللهُ ملكَهُ على الرِّسَالةِ أَحضَـرَ أَربَابَ الدَّولةِ، ولَزَمَهُمْ بأداء المبلغِ المذكورِ، وهي».

(٢٦) زيادة من د ١، د ٢.

(٢٧) م: «المحرومة والمرحومة».
د ١، د ٢: «المملوكة المحرومة والمرحومة».

(٢٨) ظ ٢: «الوحشية».

(٢٩) م، د ١، د ٢: «ابن الدكناس».

(٣٠) من: م، وفي: د ١، د ٢: «الغزيرة الثَّناء».

(٣١) م: «ووَاسِطَةِ عِقْدِ اليفاعِ، وإِنسَانِ عَينِ البقاعِ».
ظ ٢: «القلاع».

(٣٢) م، د ١، د ٢: «المَخصُوصَةُ بِنَيلِ العُلُوِّ والارتِفَاع»، لم ترد.

(٣٣) ظ ١: «وقلتاها».

(٣٤) السِّماكان: كوكبان، الأوَّل الرَّامحُ، وسُمِّيَ بذلك لكوكب بين يديه صغير، يقال لـه: رايـة السماك، فَصارَ رَامحًا به، والآخر: الأَعزلُ، ينزلُ بهِ القمرُ، وسُمِّيَ بـذلكَ؛ لأنَّـه لا شـيء بين يديه. الأنواء في مواسم العرب ٦٦، الأنواء والأزمنة ٧٩، ١٠٦.

(٣٥) الجوزاءُ: من أسماء البروج، وتُعدُّ في الكواكب اليمانية. الأنواء في مواسـم العـرب ٤٩، الأنواء والأزمنة ٢٤، ٩١، ٩٢.

وحُجُولُهَا[٣٦] العَـوَّاء[٣٧]، وفِرقُهَـا المجـرَّة، ونَثْـرُ إِكليلِهـا الإِكليـلُ والنَّثـرَةُ. حِصنُ النُّجَبَاءِ، وكَهْفُ الغُربَاءِ، وكَعبَةُ الأُدَبَـاءِ. القَلعَـةُ الشَّـهبَاءُ. شَـيَّدَ اللهُ[٣٨] بُنيَانَهَا، وأَبَّدَ سُكَّانها[٣٩]، وخلَّدَ مُلْكَ مَالِكِهَا، الـذي ثَبَّـتَ أَسَاسَـهَا، وصَـانَهَا وسَاسَهَا، وتَوَّجَ رَاسَها، وسَـادَهَا ورَاسَـهَا[٤٠]. لا زَالَـتْ[٤١] قَـودُهُ[٤٢] للعِـدَاةِ قُيُودَا، وصِيدُ[٤٣] المُلُوكِ لهَا[٤٤] صُيُودَا. [الكامل]

الصَّالحُ المَلكُ الذي صَـلُحَتْ بِـهِ رُتَبُ العَلَاءِ[٤٥] ولاحَ طَالِعُ سَعدِهِ[٤٦]

مَلِكٌ حَـوَى رُتَـبَ الفَخَـارِ بِسَـعيِهِ والمُلْـكَ إِرثًـا عَـن أَبِيـهِ وجَـدِّهِ

وتُنهي أَنَّ المَملُوكةَ المَنهُوكةَ[٤٧]، والمَظلُومةَ المَضنُوكةَ، يُسْكِتُهَا الحَيَاءُ والأَدبُ، ويُنطِقُهَا الإِعيَاءُ والنَّصَبُ. وشَكوَى الجَمَادِ إِلى الجَمَـادِ، كشَـكوَى العِبَادِ إِلى العِبَادِ. وإِنَّ المَعهُودْ، من[٤٨] تَقَادُمِ العُهُودْ، أَنَّ الله إِذا خَـصَّ بِنعمَـةٍ

(٣٦) د ١، د ٢: «عجولها».

(٣٧) العوَّاءُ: أربعة أنجم من منازل الجوزاء. الأنواء في مواسم العرب ٦٤، الأنواء والأزمنة ١٠٤. وعبارة: «وحجولها العواء» لم ترد في: م.

(٣٨) م: «الله تعالى».

(٣٩) ظ ٢، م، د ١، د ٢: «مبانيها، وأبد ساكنيها».

(٤٠) ليست في: ظ ١.

(٤١) م: «لا زال».

(٤٢) القَودُ: الخَيْلُ أَو جَماعةٌ من الخيْلِ. تاج العروس (قود) ٩/ ٧٦.

(٤٣) الصِّيدُ: الشُّجعان.

(٤٤) ظ ١: «لها».

(٤٥) د ١، د ٢: «الفخار».

(٤٦) ديوان صفي الدين الحليّ ١/ ٢٤٤.

(٤٧) د ١: «المنهوكة»، لم ترد.

(٤٨) ظ ١، م: «في».

مَخلُوقًا[٤٩] عَمَّ بِهَا أَبنَاءَ جِنْسِهِ، وأَشرَكَهُم فِيهَا مَعَ نَفْسِهِ.

وأَنتِ بِحَمْدِ الله قَد أَصبَحتِ أَغزَرَ ضِيَاءً مِنَ الشَّمسِ[٥٠]، وأَعَزَّ مِنهَا فِي[٥١] المَنَالِ واللَّمْسِ. فَأَيَّامُكَ بَاسِمَةُ الثُّغُورِ، وبِلَادُكَ آمِنَةُ الثُّغُورِ، ويَقصِدُكَ المَادِحُ والحَامِدُ، ويَشكُرُكَ الرَّائِدُ[٥٢] والوَارِدُ، وشَرَفُكِ بِإِترَابِكِ[٥٣] لا بِتُرَابِكِ[٥٤]، وشُكرُكِ لِفَيضِ نَدَاكِ، لا لِعُلُوِّ بِنَاكِ. [الكامل]

شَرَفَ السَّحَابِ بِمَا هَمَى مِن وَبْلِهِ لا بِالتَّرفُّعِ فِي عُلُوِّ مَكَانِهِ

فَلا تَزْوِي عَنِّي جَاهَكِ، وأَنَا بِاتِّجَاهِكِ[٥٥]، ولا تُظْمِئِينِي[٥٦] من زُلالِكِ، وأَنَا تَحتَ ظِلالِكِ.

فالذي تُنهِيهِ المَملُوكةُ أَنَّها لَمْ تَزَلْ مِن[٥٧] عَهْدِ صَاحِبِهَا الذي شَيَّدَ بُنيَانَهَا، وأَبَّدَ أَركَانَها، مَحَلَّ الرَّاحِ والرَّاحَاتِ، ومَعهَدَ[٥٨] السُّرُورِ والفَرحَاتِ، ومَوطِنَ الأَغَانِي والغَوَانِي[٥٩]، ومَقَرَّ المَثَالِثِ والمَثَانِي. [المتقارب]

مَحَلُّ الظِّبَاءِ ومَأْوَى الأُسُودِ فَطَورًا كناسًا وطَورًا عَرِينَا

فَلَمَّا طَوَّحَتْ بِسَاكِنِهَا الأَيَّامْ، إِلى أَقصَى بِلادِ الشَّامْ، جَفَاهَا الإِخوَانُ

(٤٩) م: «الله تعالى إذا خصَّ مَخلوقًا بنعمةٍ».

(٥٠) م: «من من ضياء الشمس».

(٥١) ظ ٢، م: «عن».

(٥٢) د ١، د ٢: «الزائد». م: «الوايد».

(٥٣) الإترابُ: الغِنَى.

(٥٤) ظ ١: «وشرفك لأترابك».

(٥٥) ظ ١: «فلا تروي... تجاهك».

(٥٦) ظ ١: «تقضيني».

(٥٧) د ١، د ٢: «منذ».

(٥٨) ظ ١: «وتعهد».

(٥٩) د ١، د ٢: «الغواني والأغاني».

حِينًا طويلًا، وهَجَرَهَا الرِّفَاقُ هَجْرًا جَمِيلًا[٦٠]، فَكَابَدَتْ بَعدَهُمْ هَمًّا وبُوسَا، وأَقَامَتْ[٦١] فَارِغَةً كفُؤَادِ أُمِّ مُوسَى. لا تَجِدُ أَنِيسًا في عِرَاصِهَا[٦٢] القِفَار، ولا تَسمَعُ حَسِيسًا غَير صَهِيلِ الفَارِ. حتَّى رَثَتْ[٦٣] لهَا أَكسَارُ البُيُوتْ، وخَيَّمَ[٦٤] على أَسِرَّةِ وَجهِهَا العَنكبُوتْ[٦٥]. [الخفيف]

بُدِّلتْ من حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَحشًا[٦٦] بَعدَ أُنسٍ ووَحشَةً بَعدَ أُنسِ

فَبَينَمَا هيَ مُفَكِّرَةٌ فِيمَا غَيَّرَ حَالَها، وأَوجَبَ[٦٧] اضمِحلالَها، إِذْ رَأَتِ الفَأْرُ أَفوَاجًا يَهرَعُونَ من المَسلَخِ، ويَجتَمِعُونَ بِالمَطبَخِ، وبَينَهُم جُرذٌ قَد[٦٨] جَثَمَ قَرِيبًا، وانتَصَبَ على إِحدَى[٦٩] الأَثَافي[٧٠] خَطِيبًا، وهو يَقُولُ: الحَمدُ للهِ مُكَوِّنِ الأَكوان، والمَعبُودِ بِكُلِّ أَوَان، وخَالقِ أَصنَافِ الحَيَوَان، على اختِلَافِ الأَشكالِ والأَلوان. مُسَخِّر الأَفلَاك الدَّائِرات، ومُجري الفُلك السَّائِرَات، وخَالِقِ السَّارِحَات والطَّائِرَات، ومُولِّد الهَوام[٧١] والحَشَرَات، ﴿وَهُوَ[٧٢] ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم[٧٣] مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وخَلَقَ ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم

(٦٠) اقتباس إشاري من قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمّل: ١٠].
(٦١) ظ ٢: «وغدتْ».
(٦٢) ظ ١: «عَرضِها».
(٦٣) ظ ٢: «رتب».
(٦٤) ظ ١، ظ ٢: «وختم».
(٦٥) د ١، د ٢: «على وجهها أسرة العنكبوت».
(٦٦) ظ ٢: «جنًّا».
(٦٧) ظ ١: «وأحبَّ».
(٦٨) د ١، د ٢: «وبينهم جرذان».
(٦٩) ظ ٢، د ١، د ٢: «أحد».
(٧٠) الأثافي جمع الأُثْفِيَّة: الحَجَرُ الذِي تُوضَعُ عَلَيْهِ القِدْرُ. تاج العروس (أثف) ٢٣/ ٨.
(٧١) الهَوَامُّ: الحَيَّاتُ، وَكُلُّ ذِي سُمٍّ، يَقْتُلُ سُمُّهُ. تاج العروس (هوم) ٣٤/ ١١٩.
(٧٢) ظ١: «وخالق السارحات والطَّائرات، ومُولّد الهَوام والحَشَرَات، و»، لم ترد.
(٧٣) في النسخ جميعًا: «خلقكم».

﴿مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥][٧٤].

أَحمَدُهُ حَمْدَ عَارِفٍ بِـ[قَدرِ][٧٥] نَفسِهِ، نَاصِحٍ لِأَبنَاءِ جِنسِهِ، وأَستَغفِرُهُ مِنَ العَبَثِ بِالقَرضِ، والفَسَادِ في الأَرضِ، وأَستَكفي بِهِ مِن شَرِّ كُلِّ ذي ظفرٍ ونَابٍ، ومِنسَرٍ ومِخلابٍ، وأَعوذُ بِهِ مِنَ الأَبلَقِ والأَحمَرِ والأَرقَطِ والأَنمَرِ والأَسوَدِ والأَبيَضِ[٧٦]، وأُصَلِّي على نَبِيِّهِ المَبعُوثِ مِن خَيرِ قَبِيلةْ، الشَّفِيقِ على أُمَّتِهِ، حَتَّى حَذَّرَهُمْ حَرَّ نَارٍ[٧٧] لِلفَتِيلَةْ، أَعاذَنَا اللهُ وإِيَّاكُم مِن وَكَائِدِ المَكائِدِ، ووَصَائِدِ المَصَائِدِ، وتَجَشُّمِ المَهَالِكِ، وأَكْلِ الخريق[٧٨] والهَالِك[٧٩].

اعْلَمُوا مَعَاشِرَ الفَأْرِ أَنَّكُمْ مِن أَكرَمِ جِيلٍ، وأَشرَفِ قِيلٍ[٨٠]، خُلِقتُم مِن عَفَنِ التُّرَابِ والطِّينْ، وتِلكَ جِبِلَّةُ[٨١] آدَمَ أَبي العَالَمِينْ. وشَارَكْتُمْ بَنِيهِ في سُكنَى[٨٢] الدَّارِ، فَلزِمَهُمْ لكُمْ[٨٣] حقُّ الجِوَارِ.

أَلَا وإِنَّ مُلكَ القَنَاعَةِ عَقِيمٌ، والبَغيَ مَصرَعُهُ وَخِيمٌ[٨٤]، والطَّمَعَ عَذَابُهُ

---

(٧٤) وأولها «والله خلق».

(٧٥) الزيادة من: د ١، د ٢.

(٧٦) د ١، د ٢: «وأعوز به من الأبلق والأنمر والأغبر والأسود والأحمر».

(٧٧) ظ ٢: «حتى أمرهم حرنا». د ٢: «حتى جرَّ نا».

(٧٨) ظ ١: «كالحريق». د ١، د ٢: «الخريف».

الخريق، الخرق: نبتٌ كالقسط لَهُ أوراق وخرق. تاج العروس (خرق) ٢٥/ ٢٢٠.

(٧٩) ظ ١: «وقراب الهالك».

(٨٠) ظ ١: «وأشرف قبيل». ظ ٢: «أسرف جيل وأسرق قبيل».

(٨١) ظ ١: «حيلة».

الجِبِلَّةُ: الأَصْلُ مِن كُلِّ مَخلُوقٍ. تاج العروس (جبل) ٣٨/ ١٧٧.

(٨٢) د ٢: «سكنى»، لم ترد.

(٨٣) ظ ١: «فلزمكم لهم».

(٨٤) وَخيم: ثقيل. تاج العروس (وخم) ٣٤/ ٣٤، وهذا المثلُ مَشهُورٌ. يُنظر: الأمثال المولّدة ١٠٢.

أَلِيمٌ، وهذِهِ الدَّارُ المُبارَكَةُ أَوَّلُ تُربَةٍ بَرَّكُمْ أَترَابُهَا[٨٥]، وأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِسْمَكُم تُرَابُهَا[٨٦]، فَلا يَكُونُ[٨٧] على أَيدِيكُمْ خَرَابُهَا، ألا وإِنَّها مُنذُ[٨٨] خَلا مَسْكَنُهَا مَن سَاكِنِهَا[٨٩]، وتَمَكَّنَ العَفَاءُ[٩٠] مِن أَماكِنِهَا، جَعَلتُمُوهَا نَدوَةَ نَهَارِكُمْ ولَيلِكُمْ، وحَلْبَةَ رِجلِكُمْ وخَيلِكُمْ، والآنَ قَد انجَابَتْ عنهَا أَيَّامُ[٩١] البُؤُوسِ، وأَفَلَتْ طَوَالِعُ النُّحُوسِ، ولَحِظَهَا الدَّهرُ بِعَينِ الرِّضَا، وقَضَى بِسَعدِهَا فَصْلُ القَضَا، وتَوَلَّاها نِعْمَ الوليّ، وابتَدَرَ لِسَكَنِهَا الصَّفيُّ الحِلِّيّ، وفي يَومِكُمْ هذا يُرسَلُ إليها[٩٢] مَنْ يَلُمُّ شَعَثَهَا، ويُطَهِّرُ خَبَثَهَا، ومَتَى رَآكُمْ بِهَا سَارِبِينَ، وفي قَرَارَتِهَا رَاسِبِينَ[٩٣]، كَرِهَ سُكنَاهَا[٩٤]، واتَّخَذَ لِنَفسِهِ سِوَاهَا،

(٨٥) ظ ٢: «ترابها».

الأترابُ، جمع التِّرْب: مَنْ وُلِدَ مَعَك. تاج العروس (ترب) ٢/ ٦٧.

(٨٥) ظ ١: «وشرفك لأترابك».

(٨٦) أفاد من قول الشاعر: [الطويل]

بِلَاد بِهَا نِيطَتْ عليَّ تَمَائِمي وَأَوَّلُ أَرضٍ مَسَّ جِلدي تُرَابُهَا

وهو لرقاع بن قيس الأَسديّ في: لسان العرب ٧/ ٤١٨ (نوط)، ١٢/ ٧٠ (تمم)؛ وتاج العروس ٢٠/ ١٦٠ (نوط)، (تمم)؛ ومن غير عَزْوٍ في: لسان العرب (عقق)، وتهذيب اللُّغة ١/ ٥٩، وتاج العروس ١٦/ ٣١٧ (فأس)، (عقق). وكذلك يُنسَبُ إلى رفاعة بن قيس في: شرح مقامات الحريري ١/ ٢٢٩، وإلى أبي النَّصر الأسديّ في: مثير العزم ١/ ١٠٧، وتحرَّفَ إلى: أَبي النضير الأسديّ في: سمط اللآلي ٢٧٢، وإلى امرأة من طيِّئ في: المنازل والديار ٢٦٧.

(٨٧) في النسختين: «يكن».

(٨٨) ظ ١: «وإن منذ». د ٢: «ألا وإنها خلا».

(٨٩) في النسخ جميعها: «سكنها»، ولعل الصواب ما أثبتناه؛ لتُوافق ما بعدا في السَّجعِ.

(٩٠) العفاء: الدرس والهلاك. تاج العروس (عفو) ٣٩/ ٧١.

(٩١) ظ ١: «أيام» لم ترد.

(٩٢) د ١، د ٢: «إليكم»، وسقطتْ من: ظ ٢.

(٩٣) ظ ١: «فمتى رآكم بها راسبين، وفي عراصها ساربين».

(٩٤) د ١، د ٢: «مغناها».

فَعَادَ(٩٥) رَبعُها كالرَّمْسِ، ورَجَعَ يَومُهَا كالأَمْسِ، ومَتَى تَقَبَّلها، إذا قَابَلَهَا، أَخصَبَ رَبعُها، وتَعَدَّى إلينَا(٩٦) نَفعُهَا.

أَلَا وإِنَّ مَن استَرشَدَ مِنكُمْ بِحِكْمَتي، واتَّبَعَ كَلِمَتي، أَثبَتُّهُ في أُمَّتي، وأَتمَمْتُ عَليهِ نِعمَتي(٩٧)، فَأَجَابَهُ الجَمِيعُ بِالسَّمْعِ والطَّاعةِ، وقَالُوا: سَنَتَّخِذُ نَفَقًا(٩٨) مِن هذِهِ السَّاعَة، غَيرَ أَنَّ هذِهِ الدَّارَ المَباركةَ قَد أوجَبَت(٩٩) علينَا حُقُوقها، وحُرِّمَ علينا عُقُوقُها(١٠٠)، وهي حَدَقَةُ عَينِ المَدِينَةِ، ووَاسِطَةُ عِقدِهَا الثَّمِينَةِ، فَهَلْ هذا المُبتَدِرُ لِسَكنَاهَا، ولِعِمَارَة مَغنَاهَا أَنْ يَكُونَ مُستَحِقَّهَا، ويُوفِيهَا(١٠١) مِنَ اللَّذَّةِ حَقَّهَا، أَمْ هُوَ مِمَّنْ يرَى خَزْنَ فَلْسِهِ، ولمْ يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ(١٠٢)، فَقَالَ: بَلْ هُوَ رَبيبُ(١٠٣) الدَّولةِ الأَرتقيَّةِ، وجَليسُ الحَضرَةِ السُّلطَانيَّة، خفَّة رُوحِ الزَّمَانِ(١٠٤)، وهَارُوتُ سِحْرِ البَيَانِ، ورَبُّ المَقَامِ والمَقَالِ، وفَارِسُ الجِلَادِ والجِدَالِ. [مجزوء الكامل]

---

(٩٥) ظ ١: «فغادر».

(٩٦) ظ ١: «إليكم».

(٩٧) اقتباس إشاريّ من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾، المائدة: ٣.

(٩٨) اقتباس إشاري من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

(٩٩) ظ ٢: «وجب علينا».

(١٠٠) ظ ١: «حقها، وحرم علينا أن نعقها».

(١٠١) ظ ١، د ١، د ٢: «ويوفها».

(١٠٢) أفادَ من قوله تعالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(١٠٣) ظ ٢: «رئيس».

(١٠٤) من قول الشريف الرضيِّ، ديوانه ٢/ ٣٧٧:

ليبك الزمانُ طويلًا عليك ... فقد كنتَ خِفَّةَ رُوحِ الزَّمَانِ

مَـا إِنْ يَـزَالُ أَخَـا مِـزَا ... حِ أَو يَكُـونَ أخـا مِـرَاس
طَـورًا تَـرَاهُ أبـا نُـوا ... س، وتـارةً كَـأَبي فِـرَاسِ

لكنَّهُ مَعَ ذَلِكَ إِكسِيرُ الخُمُورِ، وينبوعُ الفُجُورِ، قَائِلٌ بِالهَنَاءِ والهنَاتِ، مُولَعٌ بِالبَنِينَ والبَنَاتِ [الخفيف]

قَائِلٌ بِالنَّبِيذِ والمزرِ[١٠٥] والبو ... زةِ[١٠٦] والكيلسون والبختجوشِ[١٠٧]
فَإِذا مَا تَعَذَّرَتْ نَشوَةُ الرَّا ... حِ تَغَانى عن شُربِهَا بِالحَشِيشِ
وإذا هَمَّ بِاللِّوَاطِ فَمَا ... يَفكُرُ في أَمرَدٍ ولا نَكْرِيشِ[١٠٨]
لو دعا بِالفُجُورِ في دَيرِ هليا ... جَاوَبَتهُ الفِقَاحُ مِن عَقرِ شُوشِ[١٠٩]

فَعِندَهَا هَنَّئتُ نَفسي بِالسُّرُورِ، وعَلِمْتُ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وأَيقَنتُ بِانشِرَاحِ صَدري، وقُلتُ قَد طَلَعَ شَمْسي بَعدَ بَدري.

فَلَمْ أَسْتَتِمّ الخِطَابَ إِلَّا وقَد فُتِحَ البَاب، ووَلَجَ بِهِ نَفرَانِ، كأَنَّهمَا القَمَرَانِ[١١٠]، فَبَدءَا بِالكنسِ والرَّشِّ، وثَنَيَا بِالبُسَطِ والفَرشِ، وعزَّزَا بِتَعلِيقِ السُّتُورِ، وتَدخِينِ البُخُورِ، وفَرَشَا المِنظَرَةَ والطَّيَّارَةَ، ومَلآ البِركَةَ والفَوَّارَةَ، وأَطلَقَا المَاءَ إِلى[١١١] البُستَانِ، وصَفَّا الخُضرَةَ في الإِيوَانِ، وأَنَا مَعَ ذَلِكَ

(١٠٥) المِزْر: نَبيذ الذُّرة والشَّعير والحِنطة والحُبوب، وَقيل: نَبيذ الذُّرة خاصّة. تاج العروس (مزر) ١٤/ ١١٨.

(١٠٦) البوز: شرابٌ مُسكرٌ من الذَرة وغيرها. تكملة المعاجم العربية ١/ ٤٧٩.

(١٠٧) هي: الحشيش.

ظ ٢: «النُحتحوش»، تصحيف.

(١٠٨) النكريشُ: حسنُ اللِّحيةِ. تاج العروس (نكرش) ١٧/ ٤٢٩.

(١٠٩) من بلاد الجزيرة. صبح الأعشى ٧/ ٣٠٧.

(١١٠) د ١، د ٢: «في».

(١١١) ظ ١: «حقها، وحرم علينا أن نعقها». ظ ٢: «وجب علينا».

مُتَرَقبة قُدُومَ السَّاكِنِ إليَّ، مُتَوَقِّعَةً مطلعه(١١٢) عليَّ، فَنَظَرتُ وإذا(١١٣) بِهِ قَد فُتِحَ البَابُ، ووَلَجَ وَمَعَهُ أَمرَدَانِ(١١٤)، كأَنَّهُمَا الفَرقَدَانِ، وهو يَتَهَادَى في مِشْيَتِهِ، ويَمِيسُ بَينَ حَاشِيَتِهِ، تَكادُ(١١٥) أَنْ تَقطُرَ مِن أَعطَافِهِ الخَلَاعَةْ، وتَلمَعُ مِن أَسِرَّةِ وَجْهِهِ الرَّقَاعَةْ، فَطَافَ أَقطَارَ الدَّارِ، وهَشَّ لِحُسْنِ الآثَارِ، ثُمَّ مَشَى ورُفقَتَهُ حَتَّى جَلَسَ بالشُّبَّاكِ(١١٦) الحَدِيدِ، المُشْرِفِ على بَابِ الحَدِيدِ.

فَلمَّا استَقَرَّ بِهِ المَكانْ، وسَرحَ طَرْفَهُ في مَحَاسِنِ البُسْتَانْ، أَبدَى لِغُلَامِهِ سَغَبًا ولَغَبًا، وتَلى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، فَبَادَرَتِ الوَلَائِدُ بِالمَوَائِدِ، وسَلَكُوا مِنَ الآدَابِ(١١٧) أَجمَلَ العَوَائِدِ، حَتَّى إذا رُفِعَ الطَّعامُ مِن بَينِ أَيدِيهِمْ، ورُدَّتْ أَيدِيهم إِليهِمْ(١١٨)، حَمَدُوا اللهَ وشَكَرُوا، وطَعِمُوا ولمْ يَنتَشِرُوا(١١٩)، بَلْ قَالَ: إِنَّ أَولَى(١٢٠) ما هُضِمَ(١٢١) بِهِ الطَّعَامْ، شَيءٌ مِنَ أَرطَالِ المُدَامْ(١٢٢)، وأَنشَدَ(١٢٣): [السريع]

---

(١١٢) ظ ١: «متوقعة مطله». ظ ٢: «وقوع ظله». د ٢: «مطلع».

(١١٣) ظ ٢: «وإذ». د ١، د ٢: «وإذا قد».

(١١٤) د ٢: «وولج به أمردان». د ١: «وولج أمردان».

(١١٥) ظ ٢: «وهو يكاد».

(١١٦) ظ ١: «في الشباك».

(١١٧) ظ ١: «الأدب».

(١١٨) ظ ١: «إليهم أيديهم».

(١١٩) اقتباسٌ إشاريٌّ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب ٥٣].

(١٢٠) ظ ١: «أولا». ولم ترد «إن» في: د ١، د ٢.

(١٢١) ظ: «يهضم».

(١٢٢) ظ ١: «يهُضِمَ بِهِ الطَّعَام، شَيءٌ مِنَ المُدَام».

(١٢٣) من: ظ ٢، وفي ظ ١: «نظم».

مَـا يَهْضِـمُ الـزَّادَ سِـوَى قَهْـوَةٍ فَقَرِّبُوهَـا نَحوَنَـا واقْرَبُـوا[١٢٤]
ولا تَخَـافُوا الإِثْـمَ فـي شُـربِهَا فَاللهُ قَد قَالَ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾[١٢٥]

فَقُلتُ: أَحسَنتَ يا دقنائيلُ، ووَارِثَ عِلْم عزازيلَ[١٢٦]، شَدَّ الله على المَعَاصي قُوَاكَ، وأَلْهَمَكَ فُجُورَكَ دُونَ تَقوَاكَ[١٢٧].

فَمَا اسْتَتَمَّ الكلامَ، إِلَّا والمُدَامُ تُجلَى، والكُؤُوسُ تُملَى، فَشَرِبُوا أَدوَارًا، وتَنَادَوا أَطوَارًا، وتَنَاشَدُوا أَشعَارًا، وتَحَاوَرُوا[١٢٨] أَخبَارًا. فَكانَتْ سَاعَاتُهُمْ أَحلَى مِن استِرَاقِ النَّظَرِ عِندَ قُفُولِ الرَّقيبِ[١٢٩]، وأَلَذَّ مِن اختِلاسِ القُبَلِ عِندَ حُضُورِ الحَبِيب. وكانَ بِمَوَاقِعِ اللَّذَّاتِ أَعرَفَ مِنَ السَّيلِ بِالوِهَادِ[١٣٠]، وأَروَى لِمَعَاهِدِي مِنْ صَوبِ العِهَادِ[١٣١]. [الخفيف]

كُـلَّ يَـومٍ لَـهُ حَبِيـبٌ جَدِيـدُ يَتَهَنَّـى بِـهِ وخَمْـرٌ عَتِيـقُ[١٣٢]
بِمُـدَامٍ[١٣٣] حَكَـتْ سُـهَيلَ اتِّقَـادًا فـي زُجَـاجٍ كأَنَّـهُ العَيُّـوقُ[١٣٤]

---

(١٢٤) البيتان من غير عزو في: رسالة في الشاي والقهوة والدخان ٢٧.

(١٢٥) الأعراف: ٣١، وتتمَّتُها: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

(١٢٦) عزازيل: اسم إبليس لَعَنَه اللهُ. تاج العروس (بلس) ١٥/ ٤٦٥.
ظ ١، د ١، د ٢: «عِزرائيل».

(١٢٧) اقتباس إشاريّ من قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨].

(١٢٨) ظ ١: «تنادروا».

(١٢٩) أَفَادَ من قولِ العطويِّ:

أَحْسَـنُ مِـنْ غَفْلَـةِ الرَّقِيْـبِ وَلَحْظَةِ الوَعْـدِ مِـنْ حَبِيْـبِ

يُنظر: شعراء بصريون من القرن الثالث (العطوي) ١٧.

(١٣٠) من كلامه صلى الله عليه وآله: «إن الله ليغذي عبده المؤمن بالبلاء كما تغذي الوالدة ولدها باللبن، وإن البلاء إلى المؤمن أسرع من السيل إلى الوهاد». بحار الأنوار ٧٨/ ١٩٥.

(١٣١) العِهَادُ، جمع العهد: أَوَّلُ المَطَرِ (الوَسْمِيّ). تاج العروس (عهد) ٨/ ٤٥٦.

(١٣٢) ظ ٢: «ورفيق. وخمر شهي عتيق».

(١٣٣) ظ ٢: «ومدام».

(١٣٤) العَيُّوقُ: نَجْمٌ أحمَر مُضيءٌ فِي طَرَف المَجَرّة الأيْمَن، يتْلو الثُرَيّا، لَا يتقدَّمُها ويطلُع قبل =

في غَبوقٍ مِنَ الشُّمُوعِ صَبُوحِ[١٣٥] وصَبُوحٍ مِنَ الغُيُومِ غَبُوقِ[١٣٦]
وهُوَ يُبدي مِنَ الفُكاهَةِ لُطفًا كُلُّ لُطفٍ من حُسْنِهِ مَسرُوقُ[١٣٧]

ثُمَّ جَعَلَ يُرسِلُ الأَوراقَ، لِيستَدعي الرِّفاقَ، بِأَشعَارٍ لو حَاوَلَهَا ابنُ المُعتَزِّ[١٣٨] لَعَزَّتْ، ولو سَمِعَتْهَا الجِبَالُ طَرِبَتْ واهْتَزَّتْ، وأَقَامَ في نَعيمٍ مُفَاضٍ[١٣٩]، وعَيشٍ فَضَفَاضٍ[١٤٠]، تَقصدُهُ أَعيَانُ الدَّولَةِ، وفُرسَانُ الجَولَةِ، وأَهلُ الصِّلَّةِ والصَّولَةِ، وتَبَادَرُهُ أَهلُ العِلْمِ والعَلَمِ، وأَربَابُ السَّيفِ والقَلَمِ.

[الكامل]

مُتَطَلِّعِينَ إِلى أَسِرَّةِ وَجهِهِ مُتَعَطِّشِينَ إِلى جَوَاهِرِ لَفظِهِ
لا يُسرِحُونَ اللَّحظَ عِندَ حُضُورِهِ إِلَّا بِحَيثُ رَمَى مَوَاقِعَ لَحظِهِ[١٤١]

فَعَادَ لي بِهِ الأُنسُ الكامِلُ، والعِزُّ الشَّامِلُ[١٤٢]، وظَلَّتْ[١٤٣] مَسَارِحُ المَهَا والغِزلان، ومَسنَحُ الحُورِ والوِلْدَان، ومَعهَدُ الجُنُوكِ[١٤٤] والعِيدَانْ،

= الجوْزاء، سُمّي بذلك لأنّه يَعوقُ الدَّبَران عَن لِقاءِ الثُّرَيَّا. تاج العروس (عوق) ٢٥/ ٢٢٨-٢٢٩.

(١٣٥) الصَّبُوحُ: كلُّ مَا أُكِلَ أَو شُرِبَ غُدْوَةً، وَهُوَ خِلافُ الغَبُوق. تاج العروس (صبح) ٦/ ٥١٨.

(١٣٦) في البيت إقواء.

(١٣٧) ظ ٢: «وهو لطف وحسنه مسروق».

(١٣٨) عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون بن المهدي. أَخَذَ عن المبرّد وثعلب وغيرهما، كان أديبًا بليغًا وشاعرًا مطبوعًا. قُتِلَ سنة ٢٩٦هـ. وفيات الأعيان ٣/ ٧٦-٧٥.

(١٣٩) مفاض: واسع. تاج العروس (فيض) ١٨/ ٥٠٣.

(١٤٠) ظ ١: «مفضاض».

(١٤١) ورد البيتان قبلهما كلمة «نظم» في ظ ١، وجاءا في ظ ٢ على هيئة نثر.

(١٤٢) ظ ١: «الكامل».

(١٤٣) ظ ٢: «فظلتُ».

(١٤٤) الجنوك، جمع الجنك: آلة من ذوات الأوتار، طولها ١٦ عقدة، أو ١٨، والعمل يتم بتحريك بعض أجزائها. قاموس الموسيقَى العربية ٧٣.

ومَوطِنُ القناني[١٤٥] والقِيَانْ.

ولمْ أَزَلْ رَاضِعَةً[١٤٦] دَرَّ السُّرُورْ، مُدَّةَ تِسعَةَ شُهُورْ، ثُمَّ رَأَيتُ تِلكَ الغَلَبَةَ قَد قلَّتْ، والرِّفَاقَ قَد عَبسَتْ وتَوَلَّتْ، وأَوَاني الرَّاحِ قَد اضْمَحَلَّتْ، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤]، وصَارَ سَاكني يَصعَدُ القَلعَةَ مِرَارًا، ويخرجُ إلى[١٤٧] الفِردَوسِ أَطوَارًا، ويَتَظَلَّمُ طَورًا إِلى مَلِكِ الأُمَرَاءِ، ويَتَأَلَّمُ طَورًا مِنَ الدَّولَةِ الغَرَّاءِ، ويَذُمُّ الدَّهْرَ ونَوَائِبَهُ، والدَّينَ وشَوَائِبَهُ، وإِذا خَاطَبَهُ نَدِيمٌ في الانعِكَافِ، على شُربِ السُّلافِ[١٤٨] تَحَمَّضَ وتَلَمَّظ[١٤٩]، وتَسَخَّطَ وتَغَيَّظَ، وأَذَاعَ[١٥٠] أَنَّهُ تَابْ، وفَرِغَ من الشَّرَابْ[١٥١]، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]. [الخفيف]

ثُمَّ قِيل[١٥٢] اهتَدَى، فيا ليتَهُ دا مَ على ذلكَ الضَّلال القديم[١٥٣]

وأَنَا مَعَ ذَلِكَ لا أَعلَمُ ما عَنِ المُدَامِ دَهَاهُ، بَعدَمَا كانَ ازدَهَاهُ، ولا مَا عَنِ اللَّذَّةِ نَهَاهُ، بَعدَمَا أَرشَدَهُ[١٥٤] نُهَاهُ.

فَبَينَمَا أَنَا مُفكرةٌ فيمَا أَوجَبَ ذَلِكْ، وسَلكَ بِهِ أَصعَبَ المَسَالِكْ، إِذْ سَمِعَت جَرسًا لَطِيفًا وصَوتًا ضَعِيفًا، فَأَصغَيتُ فَإِذا فَأْرَةٌ على شَفِيرِ

(١٤٥) ظ ١: «القنانِ».

(١٤٦) ظ ١: «أباضعه».

(١٤٧) د ١، د ٢: «الى» لم يرد.

(١٤٨) السُّلاَفُ والسُّلاَفَةُ مِن الخَمْرِ: أَخْلَصُها وأَفْضَلُهَا. تاج العروس ٢٣/ ٤٥٧.

(١٤٩) ظ ٢: «تحمض». ظ ١: «وتلمَّضَ».

(١٥٠) ظ ١، د ١، د ٢: «وأذعن».

(١٥١) د ١، د ٢: «وفرغ من الشراب» لم ترد.

(١٥٢) ظ ١: «قالوا».

(١٥٣) البيت في: ديوان صفي الدين الحليّ ١/ ٥١٦، وقد وردَ في النسختين الخطيَّتين على هيئة نثر.

(١٥٤) ظ ٢: «أرشد».

الجُبِّ[١٥٥]، تُخَاطِبُ أُخرَى تَحتَ الحُبِّ[١٥٦]، وَهيَ تَقُولُ: أَ رَأَيتِ مَا فَعَلَ الزَّمَانُ الغَدَّارْ، بِسَاكِنِ هذِهِ الدَّارْ؟. كُنَّا[١٥٧] نُؤَمِّلُ أَنْ نَعيشَ في ذَرَاهْ[١٥٨]، ونَرتَعَ في حِمَاهْ، ولَمْ تَزَلْ خَزَائِنُهُ مَلْأَى مِن المَأكُولِ والمَشرُوبِ، والمَعَاجِينِ والرُّبُوبِ[١٥٩]، وكُلّ مَا[١٦٠] يُقضَمُ ويُخضَمُ[١٦١]، ويُثقَلُ ويُهضَم، فَإِذا هيَ اليَومَ أَقفَرُ مِنَ الفَلَاةِ، وأَصغَرُ مِنَ الهَبَاةِ، فَقَالتْ لهَا الكُبرَى: ومَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ قَالتْ: لأَنَّهُ أَحمَقُ مِنَ الفَرَّاشِ، وأَبلَدُ مِنَ الخُفَّاشِ[١٦٢]. كانَ أينما عرَّجَ أَرَّجَ، وحَيثُمَا تَدَرَّجَ تَفرَّجَ[١٦٣]. تَرتَاحُ إِليهِ السَّبَاسِبُ[١٦٤]، وتَجِدُّ في طَلَبِهِ المَكَاسِبُ، وكانَتْ أَبنَاءُ هذه الدَّولةِ تُؤَمِّلُ أَن

(١٥٥) شَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ، حَرْفُهُ. تاج العروس (شفر) ١٢/ ٢١٠. الجُبُّ: البِئرُ غيرُ البَعِيدَةِ. المصدر نفسه (جبب) ٢/ ١٢١.

د ١، د ٢: «مع حفير الجب».

(١٥٦) الحُبُّ: الجَرَّةُ صَغِيرَة كَانَت أَو كَبِيرَة أَو هِيَ الضَّخْمَة مِنْهَا، الخَابِيَةُ. تاج العروس (جبب) ٢/ ٢٢٤.

(١٥٧) ظ ١: «وكنَّا».

(١٥٨) الذَّرا: الكِنُّ. هُوَ كلُّ مَا اسْتَتَرْتَ بِهِ. يقالُ: أَنا فِي ظلِّ فلانٍ وَفِي ذَراهُ، أَي فِي كَنَفِهِ وسِتْرِه ودِفْئِه. تاج العروس (ذرو) ٣٨/ ٩٠.

(١٥٩) الرُّبُوبُ، جمع الرُّبُّ: هُوَ مَا يُطْبَخُ من التَّمْرِ، والرُّبُّ: الطِّلَاءُ الخَاثِرُ، وقِيلَ هُوَ دِبْسُ، أَي سُلَافَةُ خُثَارَةِ كُلِّ تَمْرَةٍ بعدَ اعْتِصَارِهَا. تاج العروس (ربب) ٢/ ٤٧٨.

(١٦٠) في النسختين: «كلما».

(١٦١) د ٢: «ويخصم». د ١: «يخضم ويقضم».

الخَضْمُ: مَلْءُ الفمِ بالمَأكُول. وقِيل: الخَضْمُ للإِنْسَان بمنْزِلة القَضْم من الدّابّة. تاج العروس (خضم) ٣٢/ ١٠٥.

(١٦٢) د ٢: «الخنفاش».

(١٦٣) د ١، د ٢: «كانَ أينما عرَّجَ أَرَّجَ، وحَيثُمَا تَدَرَّجَ تَفرَّجَ» وردت على هيئة بيت شعر.

(١٦٤) السباسبُ، جمع السَّبْسَب: المَفَازَةُ والقَفْرُ، أَو الأَرْضُ المُسْتَوِيَةُ البَعِيدَةُ. تاج العروس (سبب) ٣/ ٤٠.

تتأمَّلَ قُدُومَهُ، وتَشتَاقُ أَنْ تَستَاقَ[١٦٥] نَسِيمَهُ، ولا تَزَالُ[١٦٦] تُورِدُ[١٦٧] أَشعَارَهُ، وتَستَطلِعُ أَخبَارَهُ، وإِذا قَدِمَ عَليهِمْ تَلَقَّوهُ تَلَقِّيَ الأحرار[١٦٨] صَوبَ الغَمَام، واسْتجلوهُ استِجلاءَ البَدرِ ليلةَ التَّمَامِ[١٦٩]، ولَمْ تَزَلِ العُيُونُ إِليهِ مَمْدُودَة، والسَّاعَاتُ لهُ مَعدُودَة، فَنَفَخَ في مَنَاخِرِهِ الشَيطَانْ، وأَغرَاهُ[١٧٠] بِمُعَامَلَةِ نَائِبِ السُّلطَانْ، فَسَلَّمَ إِليهِ مَا في يَدَيهِ[١٧١]، واستَدَانَ لهُ مِنَ التُّجَّارِ ضِعفَيهِ، وتَحَمَّلَ لهُ نَحو تِسعينَ[١٧٢] أَلفًا أَو مَا دُون، وقِيلَ: إِلى[١٧٣] مِئَةِ أَلفٍ أَو يَزِيدُون[١٧٤]، وكَتَبَ لهُ[١٧٥] المَسطُورْ، إِلى ثَلاثَةِ شُهُورْ، وصَارَ لِفَسَادِ رَأْيِهِ ورَاسِهِ، وضعفِ عَقْلِهِ وقِيَاسِهِ، يَنفشُ سِبَالَهْ[١٧٦]، بِأَليةِ أَذيَالِهْ، ويُمِتُّ بِذَلِكَ المِقدَارِ، ويَجلِسُ بَينَ أُمَرَاءِ بَابِ الدَّارِ، ولَمْ يَعلَمْ أَنَّ الفِطَامْ عِندَ طلبِ الحُطَامْ، فَلَمَّا انتَهَتِ المُدَّةُ، وانقَضَتِ العُدَّةُ، نَامَ عَنهُ نَومَ[١٧٧] أَهلِ الرَّقِيمْ، ونَبَذهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقيمْ[١٧٨]، ولَم يَزَلْ يُؤَمِّلُ ويَتَأَمَّلُ، ويَحمِلُ ويَتَحَمَّلُ،

(١٦٥) ظ ٢: «تُؤَمِّلُ أَسوَاقَ قُدُومِهِ، وتَشتَاقُ إِلى تستاقِ نَسِيمِهِ».
(١٦٦) ظ ٢: «ولا تزل».
(١٦٧) د ١، د ٢: «تردد».
(١٦٨) د ١، د ٢: «الأجرار». ظ ٢: «الحيام».
(١٦٩) ظ ٢: «البدر التمام».
(١٧٠) ظ ١: «وأغره».
(١٧١) د ٢: «فسلم إليه كل ما في يديه».
(١٧٢) ظ١: «تسعون».
(١٧٣) ظ ١: «وقبل عليه».
(١٧٤) إشارة إلى قولهِ تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].
(١٧٥) د ٢: «له» لم ترد.
(١٧٦) السِّبال: شَعَرُ اللحية. لسان العرب (زحلف) ٩/ ١٣٢.
(١٧٧) ظ ١: «نوم»، لم ترد.
(١٧٨) أفاد من قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات ١٤٥].

حَتَّى لمْ يَبقَ في قَوسِ التَّحَمُّلِ مَنزَعُ، ولا في حَوضِ التَّجَمُّلِ مَكرَعُ، ثُمَّ طَوَّلَ[١٧٩] نَفسَهُ شُهُورًا، حَتَّى صَارَ عَدَدُ الثَّلاثَةِ مَحذُورًا، فَلَمَّا تَعَدَّتْ عِدَّةُ شُهُورِ الحَملِ، ولمْ[١٨٠] يَنتُجْ بِحَملِ الحَملِ، عَلِمَ أَنَّ أَمَلَهُ كانَ عَقيمًا، ورَأيَهُ كانَ سَقِيمًا. وأَنشَدَ مُتَمَثِّلًا[١٨١]: [الطويل]

لقَد عَشُرَتْ تِلكَ الشُّهُورُ بِمَولِدي وَمَا نَتجَتْ بِالحَملِ آماليَ الحُبلَى

فَقَالَتْ لهَا الكُبرَى: وَيلَكِ، إِنِّي رَأَيتُهُ بِعَكْسِ مَا وَصَفتِ مِنَ الخَبَالِ، ورَثَاثَةِ الحَالِ. قَالَتِ الصُّغرَى: وكَيفَ ذلكَ ؟ قَالتْ: لأَنِّي لا أَزَالُ[١٨٢] أَرَى أَثوَابَهُ نَقِيَّة، وأَنفَاسَهُ ذَكِيَّة، فَصاحت الصُّغرَى صيحةً، خِلْتُ أَنَّ الدَّنَّ قَد انكَسَرَ، ولِثَامَ[١٨٣] الرَّفدِ[١٨٤] قَد انحَسَرَ. قَالتْ: وَيلَكِ إِنَّ للأَشيَاءِ مَوَاطِن[١٨٥]، ولِلأُمُورِ بَوَاطِن، أَلمْ تَعلَمي أَنَّ نَقَاءَ أَثوَابِهِ لِقِلَّةِ[١٨٦] الدِّهَانِ في مَنزِلِهِ، وذُكَاءَ أَنفَاسِهِ لَعَدَمِ الزَّفَرِ[١٨٧] في مَأْكَلِه، واللهِ إِنْ تَمَادَت به الحَالُ[١٨٨]

(١٧٩) ظ ٢: «طاول».

(١٨٠) ظ ١: «تعدت شهور الحمل، فلم».

(١٨١) ظ ٢: «شعر»، ولم ترد في: د ٢.

(١٨٢) ظ ٢: «لأني لم أزل».

(١٨٣) ظ ٢: «أو لثام».

(١٨٤) في النسخ جميعها: «الرعد»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

الرفد: العُسُّ، وَهُوَ القَدَحُ الضَّخْمُ يُرْوِي الثّلاثةَ والأَربعةَ، والعِدَّةَ وَهُوَ أَكبَرُ من الغُمَر، والرَّفْد أَكبرُ مِنْهُ. تاج العروس (رفد) ٨/ ١٠٧.

(١٨٥) ظ ٢: «المواطن».

(١٨٦) ظ ١: «من قلة».

(١٨٧) د ١، د ٢: «الظفر».

(١٨٨) ظ ١: «والله فإن تمادى الحال». ظ ٢: «ووالله».

أَيَّامًا لَتَرَيَنَّهُ يَستَخرِجُ قُوتَ النَّملِ، ويجرسُ[١٨٩] القيحَ[١٩٠] مِن القَمْلِ، فَقَالَتِ الكُبرَى: ولِمَ لا يَتَقَاضَاهُ بِشِعْرِهِ[١٩١]، ويُغلِظُ لهُ في نَظْمِهِ ونَثْرِهِ[١٩٢]؟ فَإِنَّمَا تُعرَفُ السَّحَائِبُ بِوَبلِهَا، والقِسِيُّ بِنَبلِهَا، وأَنَّهُ إِذا قَالَ بَيتًا تَسَابَقَ[١٩٣] النَّاسُ إِلى حِفظِهِ، مِن قَبلِ مَا يَفُوهُ[١٩٤] بِلَفظِهِ، وشَاعَ في الآفَاقْ، مِن قَبلِ أَنْ تَسِيرَ بِهِ الرِّفَاقْ. أَوَ ليسَ القَائِلُ[١٩٥]: [الخفيف]

وإِذا ما تَلا[١٩٦] الزَّمانُ قَريظي[١٩٧] أَصبَحَتْ تَستَعِيدُهُ الأَيَّامُ

فَقَالَتِ الصُّغرَى: وكَيفَ يُغلِظُ في طَلَبِ حَقِّهِ، على مَالِكِ رِقِّهِ، ويَسِمُ بِمَقَالِهِ، مَنْ لمْ يَزَلْ حَامِلَ أَثقَالِهِ، فَإِنَّ الكَرْمَ لا يُثمِرُ[١٩٨] حَنظَلًا، ولو كانَ دَاءُ أَرضِهِ مُعضلًا، لا، بَل يَتَقَاضَى تَقَاضِيَ إِدلَال، لَا تَقَاضِيَ إِخلال[١٩٩]، ويَلُوذُ[٢٠٠] بِعَقلِهِ وعلمِهِ[٢٠١]، ويَنشِدُ مُرتَجِلًا مِن نَظْمِهِ[٢٠٢]: [الطويل]

---

(١٨٩) الجَرْسُ: اللَّحْسُ بِاللِّسَانِ. تاج العروس (جرس) ١٥/ ٤٩٣. د ١، د ٢: «ويحرش».

(١٩٠) د ١، د ٢: «القمح».

(١٩١) ظ ٢: «بشعر».

(١٩٢) ظ ٢: «ويغلظ في نظمه ونثر».

(١٩٣) ظ ١: «سابق».

(١٩٤) ظ ١: «أن يفوهَ».

(١٩٥) ديوان صفي الدين الحليّ ٢/ ١٠٣٦، وقد وردَ في ظ ١ على هيئة نثر.

(١٩٦) ظ ٢: «فإذا تلى».

(١٩٧) ظ ٢: «قريضي».

(١٩٨) ظ ٢: «ويغلظ في نظمه ونثر».

(١٩٩) ظ ١: «يحملُ».

(٢٠٠) د ١، د ٢: «ويلوز».

(٢٠١) ظ ٢: «وحلمه».

(٢٠٢) ديوان صفي الدين الحليّ ١/ ١٣٩.

سَأَصبِرُ إمَّا أَنْ تَدُومَ[٢٠٣] صُـرَوفُهَا عَلَـيَّ، وَإِمَّـا تَسـتَقيمُ أُمورُهـا
فَـإِنْ تكُـنِ الخَنسـاءُ إِنِّـيَ صَـخرُهَا وَإِنْ تكُنِ الزَّبَّاءُ إِنّي[٢٠٤] قَصِيرُهَا[٢٠٥]

فَقَالتِ الكُبرَى: فَإِنْ طالَ بِهِ المَطالُ، وتَمَادَتْ عليهِ الحَالُ، فَعَلامَ يَقـوَى عَزمُهُ، وإِلامَ يَدُلُّهُ حَزمُهُ؟ قَالتْ: على الرَّحيلِ، وتَرْكِ الأَمل[٢٠٦] المُسْـتَحِيلِ، وأَنْ يُفَارِقَ الدَّارَ والمَخزَنْ، ويَقُولُ: عَينٌ لا تَرَى، وقَلْبٌ لا يَحزَنْ[٢٠٧].

فلمَّـا سَـمِعتُ أَيَّتُهـا القَلعـةُ المَحرُوسَـةُ، والـذِّروَةُ المَأْنُوسَـةُ، أَنَّ حَالَـهُ استحَالْ[٢٠٨]، وعَزَمَ علـى التِّرحَـالْ[٢٠٩]، وَرَدَ علـيَّ مَـا أَزعَجَنـي وجَزَّعَنـي، وأَقلَقَنـي[٢١٠] وفلَّقَنـي. فَاكتَحَلـتُ السُّـهَادَ، وهَجَـرتُ المِهَـادَ، وافتَرَشْـتُ

(٢٠٣) ظ ٢: «يدوم». د ٢: «تدور».

(٢٠٤) ظ ١: «فإني»، في الموضعين، ولم ترد كلمة «قصيرها»، بل بقيتْ فراغًا.

(٢٠٥) في هذا البيت أربعةُ أعلام:

الخنساء: تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلَمية، شاعرة مخضرمة. توفِّيتْ نحو ٢٤هـ.

صخر: صخر بن عمرو بن الحارث الشريد. من فُرسان بني سُليم وغُزاتهم. قُتل في الجاهليَّة، ولأُخته الخنساء شعرٌ كثيرٌ في رثائِهِ.

الزَّبَّاء: الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع. صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة في العصر الجاهليّ. قَتَلَتْ جذيمةَ الوضَّاحَ مَلِكَ العراق، ثُمَّ انتَحرَتْ بِمَصٍّ سُمٍّ في خاتمها.

قصير: قصير بن سعد بن عمرو اللخمي. كان صاحبَ رأيٍ ودهاءٍ. احتال على الزبَّاء فَجَدَعَ أَنفَهُ وأُذنَهُ، فضُربَ بهِ المثلُ: لِأَمْرٍ ما جَدَعَ قَصِيرٌ أَنفَهُ؟. (يُنظر على التوالي: الأعلام ٢/ ٨٦، ٢٠١، ٤١، ٥/ ١٩٩).

(٢٠٦) ظ ١: «الأمر».

(٢٠٧) ظ ٢: «لا عين ترى ولا قلب يحزن». وسقط حرف الواو من: ظ ١.

(٢٠٨) ظ ٢: «حال».

(٢٠٩) ظ ١: «الارتحال».

(٢١٠) الكلمة هنا بياض في ظ ١.

القَتَادَ[٢١١]، [وأنشدتُ][٢١٢]: [مجزوء الكامل]

إنْ كـانَ قَـد أَلِـفَ[٢١٣] الرَّحِيـ ـلَ، ومَلَّنـي عَبـدُ العَزيـزِ
فَالقَلـبُ بَـينَ رِحَالِـهِ فَكأَنَّـهُ صَـاعُ العَزِيـزِ[٢١٤]

فَبِاللهِ عَليكِ أَيَّتُهَا القَلعَـةُ المَشِـيدَةُ، والقُلَّـةُ[٢١٥] الشَّـدِيدَةُ، إلَّا مَـا رَثَيـتِ لِوَاقِعَتي، عِندَ قِرَاءَةِ رُقعَتي، وقَبِلتِ شَفَاعَتي، لاسْـتِحقَاقِ شُـفعَتي، واعتَرَفـتِ بِمُضَارَعَتي، مِن فَحوَى ضَـرَاعَتي[٢١٦]، وأَجـزَتِ[٢١٧] رسـالتي[٢١٨]، بِإِجَابَـةِ مَسْـأَلتي، فَـإِنِّي لَـمْ أَزَل منقـادة لـك[٢١٩] بِزِمَـامِ الطَّاعَـةِ، ومُتَسَـربِلةً ثَـوبَ الاستِكانَةِ والضَّرَاعَةِ، وأَنَا مُقِيمَةٌ على ذلكَ الحالِ إلى قَيَامِ السَّاعَةِ[٢٢٠].

---

(٢١١) القَتَادُ: شَجَرٌ صُلْبٌ لَهُ شَوْكَةٌ كالإِبَرِ. تاج العروس (قتد) ٩/ ٥.

والنصُّ تناصٌّ من قول الحريريِّ في مقاماته ٢٦: «فَاكتَحَلتُ السُّهَادَ، وهَجَرتُ المِهَادَ، وافتَرَشْتُ القَتَادَ».

(٢١٢) زيادة من: د ١، د ٢.

(٢١٣) د ١، د ٢: «عزم».

(٢١٤) هنا إشارة إلى صاع الملك العزيز في سورة سويف: ٧٠-٧٦.

وفي البيتين إيطاءٌ، وقد وردا في ظ ١ على هيئة نَثر.

(٢١٥) القُلَّةُ: أَعلى الرّأْسِ، والسَّنامِ، والجَبَلِ، وقُلَّةُ كلِّ شيءٍ: رأْسُهُ وأَعلاهُ. تاج العروس (قلل) ٢٠/ ٢٧٤.

(٢١٦) الضراعة، ضَرَعَ: خضَعَ وذَلَّ، تَذَلَّلَ وتَخَشَّعَ. تاج العروس (ضرع) ٢١/ ٤٠٧.

(٢١٧) د ١، د ٢: «في فحوى ضراعتي، وأجزتي».

(٢١٨) ظ ١: «وسيلتي».

(٢١٩) ظ ١: «لك منقادة».

(٢٢٠) د ١، د ٢: «مقيمة على ذلك إلى يوم الساعة».

خاتمة ظ ١: «كملت الرسالة، والحمد لله وحده».

خاتمة ظ ٢: «والحمد لله حق حمده، وصلواته على خير خلقه محمد النبي العربي وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام أجمعين. م».

المصادر والمراجع

- القرآنُ الكريمُ.
- الأَمثالُ المولدةُ: محمد بن العباس الخوارزميّ (ت ٣٨٣هـ)، تحقيق د. محمد حسين الأعرجيّ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ.
- الأَنواءُ في مواسم العرب: ابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- الأَنواءُ والأزمنة: عبد الله بن حسين عاصم الثَّقفيّ (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق د. نوري القيسي ومحمد نايف الدليميّ، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.
- تاجُ العَروسِ: محمَّد مرتضَى الزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- تاريخُ الأدب العربيّ: د. عمر فَرُّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- تاريخُ الأدب العربي/ العصر المملوكي: د. عمر موسَى باشا، دار الفكر- دمشق، دار الفكر المعاصر- بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- تكملة المعاجم العربية: رينهارت دوزي (ت ١٨٨٣م)، نقلَهُ إلى العربية وعلَّق عليهِ د. محمَّد سليم النّعيمي، بغداد، ١٩٧٨م.
- تهذيبُ اللُّغَةِ: محمَّد بن أحمد بن الأَزهريّ الهرويّ (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الحيوانُ في الأدب العربيّ: شاكر هادي شكر، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ديوانُ الشَّريف الرَّضِيّ، شَرَحَهُ وعلَّقَ عليهِ وضبطهُ وقدَّمَ لهُ د. محمود

مصطفى حلاويّ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ديوانُ صفيّ الدِّين الحلِّيّ، تحقيق د. محمد حوَّر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- الأردن، ٢٠٠٠م.
- ديوانُ صفيّ الدين الحليّ، مطبعة أفندي حبيب خالد، دمشق، ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، و١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م.
- ديوانُ صفيّ الدِّين الحلِّيّ، مطبعة الآداب، ولاية بيروت، ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٢م.
- الذَّريعةُ إِلى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا بزرگ الطَّهرانيّ (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- رسالةٌ في الشَّاي والقَهوَةِ والدُّخَانِ: محمَّد جمال الدين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلَّاق القاسميّ (ت ١٣٣٢هـ)، دمشق ١٣٢٢هـ.
- سرُّ الفصاحةِ: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- السلوكُ لمعرفة دول الملوك: أحمد بن عليّ بن عبد القادر المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- سِمطُ اللآلي في شَرحِ أَمالي القالي: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكريّ (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمنيّ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.
- شرحُ الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: صفيّ الدِّين الحلّيّ (ت ٧٥٠هـ)، تحقيق د. نسيب نشاوي، مجمع اللغة العربية بدمشق، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- شَرحُ مقامات الحريريِّ: أحمد بن عبد المؤمن الشريشيّ (ت ٦١٩هـ)، تَحقِيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- شعراء بصريون من القَرن الثالث الهجريّ، دراسة ونصوص: د. محمّد جبار المُعَيْبِد، مركز دراسات الخليج العربي، بغداد، مطبعة الإرشَاد، ١٩٧٧م.
- صفيُّ الدِّين الحلِّيّ: محمود رزق سليم، (سلسلة نوابغ الفكر العربي)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- صُبحُ الأَعشَى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشنديّ (ت ٨٢١هـ)، شَرَحَهُ وعَلَّقَ عليهِ وقابل نصوصَهُ محمَّد حُسين شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- فنُّ الجِنَاسِ: عليّ الجنديّ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤م.
- فهرسُ المخطوطات العربيَّة في مكتبةِ الأَوقَافِ العامَّةِ في بَغدَادَ: عبد الله الجبوريّ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٤م.
- قاموسُ الموسيقَى العربيَّةِ: د. حسين عليّ محفوظ، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٩٧٥م.
- لسانُ العرب: جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- مثيرُ العزمِ الساكن إلى أشرف الأَماكن: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الرَّاية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- مُعجمُ آيات الاقتباسِ: حكمت فَرَج البدريّ، دار الرَّشيد للنَّشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- معجمُ البُلدانِ: ياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- مُعجمُ المَخطُوطاتِ العراقيَّةِ: مصطفَى درايتي، انتشارات سازمان وكتبخانه جمهوري إسلامي، وديوان الوقف الشِّيعيّ، إيران، ١٣٩٦هـ.
- مقاماتُ الحريريّ: القاسم بن علي الحريريّ (ت ٥١٦هـ)، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.
- المنازلُ والديارُ: أُسامة بن منقذ الكنانيّ (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق مصطفَى حجازي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- المناظراتُ الخياليةُ في أدبِ المشرقِ والمغربِ والأَندلس: د. رغداء ماريني، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.
- نظريةُ عِلمِ النَّصِّ: حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- وَفَيَاتُ الأَعيانِ وأَنباءُ أَبناءِ الزَّمان: أحمد بن محمَّد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

* * *